﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ٥١ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ٥٢﴾ [النجم: 50 - 52]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

تَهديدُ من عاينوا كمالِ عِلْمِه وشُمولِ قُدرتِه ثمَّ أصرّوا على التَّكذيب

لَمّا ذكر سبحانه في الآيات السابقة ما يدلُّ على كمالِ عِلْمِه وشُمولِ قُدرته بأُمورِ الخافِقَينِ العُلويِّ والسُّفليِّ، وكان ذلك داعيًا إلى الإقبالِ على ما يُرضيه، وناهيًا عن الإلمام بما يُسخِطُه؛ شَرَع في التَّهديدِ لِمَن وقَف عن ذلك، بما وقَع في مَصارِعِ الأوَّلينَ مِن عجائِبِ قُدرته، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾[1]، بعد أن استوفى البيانُ الحكيم ما يَستحِقُّه مَقامُ الرَّدِّ على باطلِ أهْلِ الشِّركِ مِن تَكذيبِهم النَّبيَّ ﷺ وطعْنِهم في القرآنِ، ومِن عِبادةِ الأصنامِ، وقولِهم في الملائكةِ، وفاسِدِ مُعتَقَدِهم في أُمورِ الآخرةِ، وفي المُتصرِّفِ في الدُّنيا، وكان مُعظَمُ شأْنِهم في هذه الضَّلالاتِ شَبيهًا بشأْنِ أُمَمِ الشِّركِ البائدةِ؛ نقَلَ الكلامَ إلى تَهديدِهم بخَوفِ أن يَحُلَّ بهم ما حلَّ بتلك الأُمَمِ البائدةِ، فذَكَرَ مِن تلك الأُمَمِ أشهَرَها عندَ العربِ، وهمْ: عادٌ، وثَمودُ، وقومُ نوحٍ، وقومُ لوطٍ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾: الأوَّلُ مُفتَتَحُ العَدَدِ، وهوَ الَّذي لَهُ ثانٍ، ويَكونُ بمَعْنَى الواحِدِ، ومِنهُ في صِفاتِ اللهِ تَعالَى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾ [الحديد: 3]، أي: هوَ الواحِدُ الَّذي لا ثانيَ لَهُ[3]، والمقصود هنا بعادٍ الأولى: عادُ بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، وهم الذين أهلكهم اللهُ بريحٍ صرصر

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 77.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 152.
(3) الفيومي، المصباح المنير: (أوّل).

عاتية[1]، ومعنى كونها أولى؛ لأنَّها أوَّلَ العرب ذِكرًا، وهم أوَّلُ العرب البائدة، وأوَّل أمَّة أهلكتْ بعد قوم نوح[2].

2) ﴿وَأَطْغَىٰ﴾: تدلُّ على مَجاوَزة الحدِّ في العصيانِ[3]، والطُّغْيانُ: الاعتداءُ في حُدودِ الأشياءِ ومَقاديرِها[4]، فكلُّ شَيءٍ زادَ، وتَمادى؛ فقد طغَى[5]، ويَرِدُ الطُّغْيانُ في القرآنِ الكَريم على معانٍ أربعةٍ، وهي: الضَّلالُ، والعِصْيانُ، والارتِفاعُ والكَثرَةُ، والظُّلْمُ، ولِكُلٍّ واحدٍ مِن هذه المعاني شواهدُ[6]، و﴿وَأَطْغَىٰ﴾ هنا موافقٌ للمعنى اللغوي، أي: مجاوزةُ الحدِّ في العصيان والظلم، أي: أظلمَ، وأطغى من غيرهم، ومن قومك الذين كذَّبوك[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إهلاكُ عادٍ الأولى وثـمـودَ وقـومِ نـوحٍ لظلمهم وطغيانهم

إنَّ اللَّهَ أهلكَ عادَ بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، وهم الذين أهلكهم الله بريحٍ صرصر عاتية، كما في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ﴾ [الفجر: 6 - 7]، وقوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ [الحاقة: 6]، وأهلك ثمودَ؛ فلم يُبْقِها، فيتركها على طغيانها وتمرُّدها على ربِّها مقيمة، ولكنَّه عاقبها بكفرها وعتوِّها، فأهلكها، وأنَّه أهلكَ قومَ نوحٍ من قبل عاد وثمود، إنَّهم كانوا هم أشدَّ ظلمًا لأنفسهم، وأعظم كفرًا بربِّهم، وأشدَّ طغيانًا وتمرُّدًا على الله من الذين أهلكهم من بعد من الأمم، وكان طغيانهم الذي وصفهم الله به، وأنَّهم كانوا بذلك أكثر طغيانًا من غيرهم من الأمم[8].

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 551.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 153.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طغى).
(4) الزَّبيديّ، تاج العروس: (طغى).
(5) الهرويّ، الغريبين في القرآن والحديث: 4/ 1172.
(6) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النَّواظر، ص: 414 - 415.
(7) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 153.
(8) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 553.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة العطف بالواو في ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ﴾:

جملة: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ معطوفةٌ بالواو على جملة: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾، بما يدلُّ على مُلكِ اللّه وسلطانه وقهره لعباده، وهذه الواو تحملُ مع العطف ربْطَ المعاني المتتابعة ضمنَ سلسلة من الحقائق والأفعال الإلهية في السورة، بما يُبرزُ وحدانيته سبحانه في جميع أفعاله، ممّا يزيدُ من وقعِ العِبرة على السامع.

رَبْطُ المعاني المتتابعة التي تُبرزُ وحدانية الرَّبِّ القادرِ المنتقم في جميعِ أفعاله

دلالة التوكيد بـ(أنَّ)، وعود الضمير فيه:

الضَّمير في ﴿وَأَنَّهُۥٓ﴾ يعودُ على اسم الجلالة (اللّه)، واستعمالُ الضمير بدلًا من التصريح بالاسم الظاهر يجعلُ العبارةَ أكثرَ سلالةً في اللفظ، ويُبقي التَّركيزَ على الفعل بدلًا من التَّكرار، ويعطيه قوَّة؛ لأنَّ الضَّمائرَ أقوى المعارف، ويحقِّقُ التَّرابطَ المحكمَ والتناسبَ مع ما سبق من الأفعال الإلهية (أضحك، أبكى، أمات، أحيا، أغنى، أقنى)، كما أنَّ استعمالَ حرف (أنَّ)، في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾، أفادَ التوكيد بأنَّ اللّهِ هو وحده الذي أهلكَ قومَ هود وقوم صالح وقوم لوط، وفي هذا التوكيد مزيدُ تهديدٍ للمشركين، الذين شابهتْ ضلالاتهم ضلالاتِ هذه الأقوام، وفيه ترسيخُ الإيمان بقدرة اللّه ووحدانيته في التصرُّف.

مزيدُ تهديدٍ للمشركين الذين شابهتْ ضلالاتهم ضلالاتِ الأمم السابقة

سرُّ العدول عن ذكر ضمير الفصل (هو):

عَدَل البيانُ القرآنيُّ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾، عن ذكر ضمير الفصل (هو) بخلاف ما سبقَ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ﴾ [النجم: 43]، ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾ [النجم: 44]، ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾؛ لأنَّ إهلاكَ عادٍ ومَن ذُكِرَ لا يُمكِنُ أنْ يَدَّعيَ ذلك أحدٌ، ومِن ثَمَّ لم يُحتَجْ إلى تأكيدٍ، ولا تَنصيصٍ أنَّه

هلاكُ بعضِ الأقوامِ مَعلومٌ عند العرب لا يحتاجُ إلى مزيدِ تأكيد

تعالى هو فاعِلُ ذلك[1]، وأيضًا لكون هلاكِ هذه الأقوام مَعلومًا عند العرب، فلم يُحتجْ إلى مزيدِ تأكيد[2].

دلالة التعبير بالماضي ﴿أَهۡلَكَ﴾:

بيانُ قدرةِ اللهِ على إهلاكِ الظّالمين تهديدٌ للمشركين

التَّعبيرُ بصيغةِ الفعل الماضي في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ وقوع إهلاك الله لهذه الأقوام، وتأكُّد هذا الإهلاك، فقد مضى، وانقضى، وفي هذا بيانٌ لقدرة الله تعالى على إهلاك الظالمين، ومزيدُ تهديدٍ للمشركين، بأنَّهم لا يعجزون الله، فهو قادرٌ على إهلاكهم كما أهلك من قبلهم.

سرُّ تقديم ذكر عاد:

مراعاةُ سياق التَّخويف ومقتضى الحال

قدَّمَ النظمُ الحكيم في الآيةِ ذِكرَ عادٍ وثَمودَ على ذِكرِ قَومِ نوحٍ، مع أنَّ هؤلاء أسبَقُ؛ وذلك لِمُراعاةِ مقتضى الحال والنَّظم البلاغي الذي يراعي حالَ المخاطَبين، وهم العرب في المقام الأوَّل، فإنَّ عادًا وثمودَ أشهَرُ في العرَبِ، وأكثَرُ ذِكرًا بيْنَهم، وديارُهم في بلادِ العرَبِ[3]، ويمكن أنْ يكون التقديمُ من باب التَّدرُّج من الأقربِ؛ للأبعد في التَّأثير؛ مراعاةً لسياق التَّخويف والعِبرة، فبدأ بالأمم الأقرب إلى العرب مكانًا وزمانًا وذِكرًا وتأثيرًا، ثم انتقلَ إلى الأبعد، وهم قوم نوح.

سرُّ وصف عاد بالأولى:

في تهويلِ شأنِ عاد بيانٌ لعظيمِ قهره، وأنَّه المتصرِّف في جميع الأزمنة

﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ إمّا وصفٌ كاشفٌ، وليس وصفًا مقيِّدًا، أي: ليس هناك عاد أولى وعاد ثانية، بل هي واحدةٌ، لكنها عادٌ قديمة سابقة، ولهذا وصفها بأنَّها الأولى[4]، أي: لبيانِ تقدُّمهم لا لتمييزهم[5]، فهي أوَّل

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 26.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 153.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 153.
(4) ابن عثيمين، تفسير الحجرات - الحديد، ص: 251.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 283.

العرب ذكرًا، وهم أوَّل العرب البائدة، وهم أوَّل أمَّة أُهلِكت بعد قوم نوح، أو الأولى في مراتبِ الأمم قوَّة وسعةً وبطشًا[1]، حتى إنَّهم قالوا: مَن أشدُّ منا قوَّة، ومع ذلك أهلكهم بألطفِ الأشياء بريحٍ صرصرٍ عاتية[2]، إذًا في الوصف بالأولى تهويلٌ لأمرهم فهم القدماء في الزمان جدًّا، ودلالةٌ على أنَّه المنصرف في جميع الأزمنة[3].

دلالة العطف بالواو في: ﴿وَثَمُودَا۟﴾:

﴿وَثَمُودَا۟﴾ عطفٌ عَلى ﴿عَادًا﴾، في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾؛ لأنَّ ما بعدَهُ، وهو فعل ﴿أَبْقَىٰ﴾ لا يعملُ فيهِ، والعطفُ بالواو لاشتراك القومين في الإهلاك بالريح، ولكن إهلاكُ قوم هود ﷺ بالرّيحِ الَّتي هي مَبدَأُ الأمطارِ الآتيةِ لهم في السَّحابِ، وإهلاكُ قوم صالح ﷺ بالريح بحَمْلِها للصَّيحةِ وإرجافِها بهم[4]، وفي تنوُّع إهلاك الله لهم إشارةٌ إلى عظيم قهره، وتخويفٌ للمشركين من أن يحلَّ بهم ما حلَّ بأسلافهم.

تنوُّع إهلاكِ الله للظالمين إظهارٌ لعظيمِ قهره وتخويفٌ للمشركين

معنى الفاء ودلالتها في ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ سببيَّة، أي: سبَّبَ عن إهلاك عادٍ وثمود عدم بقاء أحد منهم[5]، أو فاء الفصيحة؛ لأنَّها تُفصح، وتكشف عن جملة مقدَّرة تدلُّ عليها القرينة قبلها، والتقدير: فأهلكهم إهلاكًا ما أبقى منهم أحدًا، أو ما أبقى لهم أثرًا.

عدمُ بقاء أحدٍ من عاد وثمود نتيجة لإهلاكهم التام

دلالة النَّفي بـ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾، ودلالة التعبير بالماضي:

النفي بـ (ما) في قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ نفيٌ مؤكَّدٌ؛ لأنَّه نفيٌ في الماضي والمستقبل؛ إذ إنَّ (ما) تُستخدم لنفي كلٍّ مِن الفعل

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 153.
(2) ابن عثيمين، تفسير سورة الحجرات - الحديد، ص: 252.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 78.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 78.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 78.

الماضي والمضارع على حدٍّ سواء، وقد جاءت هنا؛ لتنفي بقاء أحدٍ من عادٍ وثمود بعد إهلاك الله لهم.

الغرض من حذف مفعول ﴿أَبۡقَىٰ﴾:

عـمـومُ العـذاب الـذي حـلَّ بعاد وثمود

حُذِفَ مفعول ﴿أَبۡقَىٰ﴾؛ اختصارًا؛ لدلالةِ ما قبله عليه، والتَّقدير: فما أبقى من قوم هود وقوم صالح أحدًا، ويؤيِّد هذا قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ۝٨﴾ [الحاقة: 8][1]، ولإفادة العموم، أي: فما أبقى أحدًا رجلًا أو امرأة أو كبيرًا أو صغيرًا، أو حجرًا أو شجرًا، ولمراعاة الفاصلة كذلك.

دلالة العطف بالواو في ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ﴾:

الـعـطـفُ في سـيـاق تـعـدادِ إهـلاك المكذِّبين يـثـبِّـتُ قـوَّة الحجَّة، ويـبرزُ عظمةَ العقاب الإلهي

﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ﴾ معطوفٌ على ﴿عَادًا﴾، والمعنى: وأنَّه سبحانه أهلكَ قوم نوح ﷺ مِن قَبْل إهلاك عاد وثمود[2]، وذلك لأجلِ ظلمهم بالتَّكذيب، إلا أنَّ عادًا أُهلكوا بالرّيحِ الَّتي هي مَبدَأُ الأمطارِ الآتيةِ لهم في السَّحاب، وقوم نوح أُهلكوا بالماء الَّذي هو غاية السَّحاب[3]، وقد جاء العطف هنا في سياق تعدادِ الأقوام التي أهلكها الله، بما يزيدُ من ثقلِ الحجَّة، ويبرزُ عظمةَ العقاب الإلهي.

الغرض من الإضافة في: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ﴾:

فـي الإضـافـة تحديدٌ للهوية وتأكيدٌ لعظيم الجُرْم

إضافةُ لفظ قوم إلى نوح في قوله: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ﴾، إضافةُ تعريفٍ وتخصيص، أي: هم القوم الذين كانوا في عهدِ نوح وهم أهله وعشيرته، وقد أفادتْ تحديدَ المراد بالقوم، وربطهم مباشرة بالنبي الذي أُرسل إليهم، بما كان يستدعي أن يحفظوا شرفَ هذه النسبة، وهذا يشيرُ إلى عظيم جرمهم.

معنى ﴿مِّن﴾ ودلالتها في قوله: ﴿مِّن قَبۡلُۖ﴾:

تـحـديـدُ بـدايـة الـعـذاب في سـيـاقِ هـلاكِ الأمم

﴿مِّن﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ﴾؛ لابتداءِ الغاية

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 283.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 28/ 173.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 78.

الزمانية، فهي تدلُّ على أنَّ بدْءَ هلاكِ الأمم كان بـ(قوم نوح)، ثم تتابعَ بعده هلاكُ عاد وثمود وغيرهما، ولو عبَّر بالآيةِ دون لفظ ﴿مِّن﴾؛ لَما أفادَ هذا المعنى، وإنَّما أفادَ سبقَ العذاب فقط.

فائدة القيد ﴿مِّن قَبْلُ﴾:

التَّعبيرُ بالقيد ﴿مِّن قَبْلُ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ يفيدُ أنَّ إهلاكَ قوم نوح كان في بعضِ الزمان الماضي، وهو قبلُ إهلاك الفريقين: عاد وثمود[1]، والمعنى: وأنَّه أهلكَ قوم نوح من قبل عاد وثمود[2]، وبيان أسبقيَّة قوم نوح في استحقاق الإهلاك يُفهمُ أنَّ طغيانهم وفسادهم كان أسبقَ وأعظم، ولذلك بُدِئَ بهم، وهذا يتناسبُ مع السياق الذي صرَّح بذلك.

فـي أسبقيَّةِ قومِ نوح في استحقاقِ الإهلاك دلالةٌ على عظيمِ طغيانهم

دلالة فصل جملة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟﴾:

لم يعطفِ القرآنُ قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ على ما قبلها؛ لِما بين الجملتين من شبه كمالِ الاتِّصال؛ إذ جاءتِ الجملةُ تَعليلًا لجملة: ﴿أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ إلى آخِرِها[3]، كما أنَّ في هذا التعليل ما يؤذِنُ أنَّهُ لا فرقَ عنده بين قويٍّ وضعيفٍ وقليلٍ وكثيرٍ[4]، وفي هذا مزيدُ تخويفٍ للمشركين وتهديد؛ فعلَّةُ الإهلاك فيهم متحقِّقةٌ، أو أنَّ الفصلَ بين الجملتين؛ لكون الآيةِ جملةً اعتراضيَّةً جاءتْ بيانًا لشدَّةِ طغيانهم وفرطِ ظلمهم؛ إذ لو كانتْ تعليلًا؛ لأورد على ذلك أنَّ غيرهم من الظالمين والطاغين لا يلزمُ أن يهلكوا[5].

إيذانٌ بعدمِ التَّفريقِ في العقاب بين قويٍّ وضعيفٍ أو بيانٌ لشدَّة طغيانهم

بلاغة توالي المؤكِّدات في قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾:

توالتِ المؤكِّداتُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾،

مبالغةٌ في تأكيد كون عاد وثمود وقوم نوح أطغى وأظلم الناس

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 79.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 553.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 154.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 79.
(5) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 6/ 212.

وهي: (إنَّ) التي تفيدُ توكيدَ النِّسبة بين المسندِ والمسندِ إليه، و(الجملةُ الاسميَّة) التي تفيدُ الثبوتَ وقوَّةَ الحُكْم وبقاءَهُ، وضميرُ الفصل ﴿هُمْ﴾، وقد أفادتْ كلُّ هذه المؤكِّداتِ مجتمعةً المبالغةَ في تأكيدِ كون قوم هود وقوم صالح وقوم نوح أظلمَ وأطْغى مِن قَوم النبي ﷺ الَّذين كذَّبوه، وليس لتأكيد طغيانهم وظلمهم، فهو مشهورٌ، وإنَّما على كونهم أطغى[1]، بما يفيدُ تَسليةً وتعزيةً للنَّبيِّ ﷺ بأنَّ الرُّسلَ مِن قبْلِه لَقوا مِن أُمَمِهم أشدَّ ممّا لقيَه محمَّدٌ ﷺ[2]، وإيماءً إلى أنَّ اللَّهَ مُبْقٍ على أُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ فلا يُهلِكُها؛ لأنَّه قدَّرَ دُخولَ بقيَّتِها في الإسلامِ ثمَّ أبنائِها[3]، وتخويفًا للمشركين بأنَّ مَن أهلكَ من كان أقوى وأطغى لا يعجزهُ إهلاكهم.

دلالة التَّعبير بالفعل (كان) ماضيًا وواو الجماعة:

آثرَ البيانُ القرآنيُّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ فعلَ الكينونة الماضية، فلم يقل: (إنَّهم هم أظلم وأطغى)؛ للدَّلالة على المضي والانقضاء، أي: تجاوزهم في الظُّلم والطغيان هو حدثٌ تاريخي قد مضى، وانقضى، ووقع، وتحقَّق منهم، وتشيرُ صيغة الجمع إلى شموليَّة صفة التجاوز في الظُّلم والطُّغيان لكلِّ أفراد القوم، ولم تكنْ لبعض الأفراد فقط، وفي هذا زيادةُ تخويفٍ للمشركين من أن يحلَّ بهم ما حلَّ بمَن سبقهم.

في الإخبار بتحقُّقِ ما وقعَ من إهلاكٍ للأمم السابقة تخويفٌ للمشركين

دلالة التعبير بضمير الفصل ﴿هُمْ﴾:

﴿هُمْ﴾ في قولِه تعالى: ﴿كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ﴾ ضَميرُ فصْلٍ؛ لأنَّه واقعٌ بين معرفةٍ وأفعل التفضيل[4]، وهو لتَقويةِ الخبَر وتأكيده، أي: تأكيد كون هذه الأقوام التي أهلكها الله هي أطغى وأظلم من قريش[5].

تأكيدُ أسبقيَّة المُهلكين في الظُّلم والطغيان

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 79.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 120.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 154.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 27.
(5) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 154.

سرُّ التعبير بصيغة التفضيل: ﴿أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ ودلالة العطف:

تعليلٌ لاستحقاق العذابِ، وتسليةٌ للنبي ﷺ

صيغةُ أفعل التفضيل في ﴿أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ تُفيدُ أنَّ هؤلاء الأقوام المُهلكين ليسوا مجرَّد ظالمين وطغاة، بل هم الأشدُّ ظلمًا، والأبلغُ طغيانًا مقارنةً بغيرهم، وتُبرِّرُ سببَ وقوع الهلاك بهم أوَّلًا، وتسلّي عن النَّبي ﷺ؛ لأنَّها توضِّح أنَّ ما واجهه من قومه - رغم شدَّته - أقلُّ ممّا واجهه الرسل قبله، وعطفَ البيانُ الحكيم لفظ ﴿وَأَطْغَىٰ﴾ على لفظ ﴿أَظْلَمَ﴾؛ للإشارةِ إلى جمعِ هذه الأقوام - التي أهلكها اللهُ - بين المجاوزة في الظُّلم الشديد، والطغيان البالغ في آنٍ معًا، فكانوا أفحشَ ظلمًا وأكثرَ طغيانًا، كما أنَّ الجمعَ بين أفعلَي التفضيل ﴿أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ بالواو يُضخِّم المعنى، ويوحي بأنَّهم جمعوا أقبحَ الصفات وأشدَّها، كما أنَّه يشيرُ إلى تنوُّع أسبابِ الهلاك، وهي الظُّلم والطُّغيان.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الظلم والطغيان والبغي والجور:

بلوغُ الأقوام الهالكة غايةَ الظلم والإفراط ومجاوزتهم الحدَّ في المعصية والكفر

الظُّلمُ أعمُّ هذه الألفاظ؛ إذ هو وضعُ الشَّيءِ في غيرِ موضعه تعدّيًا، وهو تجاوزٌ عن المستحقِّ بمنعه وانتقاصه[1]، فالظُّلمُ تتفاوتُ درجاته من صغائرِ الذُّنوبِ إلى كبائرها وصولًا للشركِ باللهِ تعالى، بينما الطُّغيانُ هو أشدُّ هذه الألفاظ؛ لاشتماله على غايةِ الإفراطِ في المعصيةِ والكفرِ، ومجاوزةِ الحدِّ في المكروه مع غلبةٍ وقهرٍ، والغلوِّ في ذلك، فالطواغيتُ: هم رؤوسُ الضَّلالةِ؛ إذ أمروا الناسَ أن يعبدوهم من دونِ اللهِ، وفي ذلك غايةُ مجاوزةِ الحدِّ[2]، وأمّا البغي؛ فيأتي بعد الطغيان في الشِّدَّة؛ لاشتماله على شدَّةِ الطَّلب في التعدّي وقصدِ الفسادِ والظلم، والتمادي في الشَّرِّ والكِبر معًا[3]، وأمّا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ظلم).

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 230.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (بغى).

الجورُ؛ فهو عبارةٌ عن كلِّ ميلٍ وعدولٍ عن الحقِّ والعدل[1]، وقد جمعَ البيانُ القرآنيُّ هنا بين لفظي الظُّلم والطغيان؛ للمبالغة في بيانِ اتِّساع ظلم هؤلاء وعمومِ ظلمهم لكلِّ شيء، بدءًا من ظلم أنفسهم وقومهم ووصولًا إلى الشرك بالله، إضافةً إلى بلوغهم غايةَ الإفراط ومجاوزتهم الحدَّ في المعصية والكفر مع غلبةٍ وقهرٍ وكبر.

(1) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، والزبيدي، تاج العروس: (جور).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"